Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

دورواد سوف في جلب السلاح من ليبيا وتونس إلى الجزائر(1945 – 1956)

The role of 0ued Souf in bringing weapons from Libya and Tunisia to Algeria (1945 – 1956)

د/ بك محمد Dr- Bek Mohamed
أستاذ محاضر أ، Professor Lecturer A
قسم التاريخ وعلم الأثاركلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة عنابة
Department of History and Archeology Faculty of Humanities and Social Sciences
Annaba University
mohamed.bek@univ-annaba.dz

تاريخ الاستلام: 29 /04/ 2024 تاريخ القبول : 2025/09/21

الملخص:

تتمتع منطقة وادي سوف بموقع ممتاز على الحدود التونسية والليبية جعلها تقوم بدور فاعل ومؤثر اجتماعي وثقافي و اقتصادي وعسكري منذ القرن التاسع عشر الميلادي ، ولقد ساهمت هذه المنطقة ورجالها في امداد ثورة الجزائر بكميات وأعداد كبيرة من الأسلحة والذخائر ، ومن المفيد أن أذكر أن جمع وجلب الأسلحة الخفيفة والذخائر بمختلف أصنافها من ليبيا وتونس كان عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية حيث خبأ وجمع في منطقة الأوراس التي عرفت انطلاقة قوية للعمليات الحربية منذ نوفمبر 1954 م ، واستمر جلب السلاح عبر وادي سوف الى غاية أن تمكنت الثورة من تحقيق الاستقلال .

الكلمات المفتاحية: وادي سوف ، تونس ، ليبيا ، الأسلحة ، الثورة .

Abstract: The 0ued Souf region has an excellent location on the Tunisian and Libyan borders that made it play an active role, social, cultural, economic and military since the nineteenth century AD, and this region and its men have contributed to the supply of the Algerian revolution with large quantities and numbers of weapons and ammunition, and it is useful to mention that the collection and bringing of weapons Light and ammunition in its various varieties from Libya and Tunisia was after the end of the Second World War, where it was hidden and gathered in the Aures region, which has known a strong launch of the military operations since November 1954 AD, and continued to bring weapons through 0ued Souf until the revolution managed to achieve independence

Key words: 0ued Souf, Tunisia, Libya, Arms, Revolution.

مقدمة:

- هذا الموضوع بالغ الأهمية لأنه يبرز دور منطقة الصحراء الشرقية في دعم الثورة عسكريا بالمال والرجال والسلاح ، ويوظف المصادر الأرشيفية والشفوية لمنطقة وادي سوف للحصول على المعلومات الصحيحة، وقد وظفت المنهج التاريخي والمنهج التحليلي في عملية الانشاء والبناء لموضوع البحث ، وقسمته الى نقاط أساساية هي : استراتيجية موقع وادي سوف ، المقاومة الشعبية ودورها في جلب الأسلحة منذ القرن 19 م ، عمليات تجميع السلاح والذخائر بوادي سوف، الرحلات نحو الأراضي الليبية ، الرحلات نحو تونس ، الرحلات نحو تونس وليبيا ، نقل السلاح على متن الحافلات والشاحنات

والسؤال الذي يطرح : ما هي الاعتبارات الجغرافية والسياسية التي جعلت قادة الحزب والمنظمة الخاصة يختارون وادي سوف ؟ وكيف تكوّنت شبكة تجميع وتسريب الأسلحة والذخيرة ؟ وما هي العوامل التي ساعدت والأخرى التي صعّبت عملية تجميع وتسريب الأسلحة من ليبيا وتونس؟

المحور الأول: استراتيجية موقع وادي سوف

أولا- اختيار قادة الثورة لوادي سوف :

لا يمكن أن نتحدث عن اندلاع ثورة نوفمبر 1954 دون التطرق الى المرحلة الشاقة التي سبقت هذا الحدث الجلل.لابد من الحديث عن المنظمة السرية OS التي ظهرت عام 1947 والتي عملت سنوات عدة في الخفاء بهدف تكوين نواة جيش وطني يفجر ثورة هدفها الأسمى تقويض أركان الاستعمار الفرنسي و تحقيق الاستقلال تلك المنظمة التي انبثقت عن حركة انتصار الحريات الديمقراطية بعد موافقة رئيسها مصالي الحاج:"...إنني أوافق على انشاء جناح عسكري يتولى تدريب المناضلين عسكريا وتكوينهم سياسيا وبذلك نكون قد هيأنا واستعجلنا جميع الوسائل من أجل تحرير البلاد."

وقد اسندت مهمة انشاء المنظمة الى السيد " محمد بلوزداد" و كان من أهم اعضائها : ديدوش مراد ، العربي بن مهيدي، سويداني بوجمعة ، مصطفى بن

بولعيد ، رابح بيطاط ، عمار بن عودة ، لخضر بن طوبال ، محمد بوضياف ، أحمد بن بلة ، أمين دباغين ، حسين آيت أحمد ، كريم بلقاسم ، وقد كانت المنظمة منتشرة في البلاد عن طريق الفروع التي تكونت في عدة ولايات[1].

لقد طرحت مسألة التسليح والتموين على المكتب السياسي لحركة انتصار الحريات الديمقراطية منذ شهر مارس 1947 وقد اقترحت مجموعة من الحلول منها البحث عن الأسلحة لدى البلدان العربية والصديقة ، لكن مشكلة عدم وفرة المال الكافي كانت تحول دون عملية جلب الاسلحة والذخيرة من الخارج خاصة وأن المنظمة الخاصة لا تتجاوز حصتها من ميزانية الحزب مائة الف فرنك فرنسي شهريا ومنه تدفع أجور قادة المناطق[2]. ورغم ذلك ومع إصرار الجناح السياسي والعسكري للحزب على ضرورة الحصول على السلاح بأي طريقة سواء من الداخل او الخارج ، وكان الاختبار الاولي لمنطقة وادي سوف المجاورة للقطرين تونس وليبيا لتصبح معبرا لتسريب السلاح .

يقع إقليم وادي سوف في الجنوب الشرقي من الصحراء الشاسعة أكثر من مليونين كلم[2] وهو يحاذي بامتداده الجغرافي غدامس الليبية وبلاد الجريد التونسية حوالي 90 كلم، ويرتبط بمدن الداخل بسكرة والأوراس وتبسة فهو بذلك منفتح على الصحراء الكبرى ، مجاور لتونس وليبيا ومرتبط بمدن وقرى في داخل الجزائر وأبعاده الرأسية قدرت بحوالي 620 كلم من سطيل الى غدامس والعرضية من وادي ريغ الى بلاد الجريد في تونس مسافة 160 كلم .

هذا الموقع الممتاز أهّل سكان منطقة وادي سوف بالقيام بنشاط تجاري وثقافي منذ الفترات التي سبقت الاحتلال الفرنسي، خاصة أنها كانت منطقة تعبر منها القوافل التجارية نحو الجنوب وأفريقيا . وهذا ذكر موجز لأهم الطرق التي تصل منطقة وادي سوف :

- طريق من سكيكدة الى غدامس والسودان.
- طرق نفطة إلى غدامس.
- طرق وادي سوف نحو الزاب.
- الطريق من وادي سوف نحو منطقة الجريد في تونس.
- الطريق من وادي سوف إلى غات في ليبيا[3] .

المقاومة الشعبية ودورها في جلب الأسلحة منذ القرن 19 م:

تمكن رجال المنطقة من جلب الأسلحة من أسواق قريبة وبعيدة في ليبيا وتونس وقد نشط المقاومون في عملية جلب الأسلحة والذخائر من هذه الأسواق ومنهم بوشوشة ، محمد بن عبد الله ، ابن ناصر بن شهرة ، محي الدين بن الأمير عبد القادر وكانت منطقة وادي سوف من أهم معابر قوافل السلاح الى المقاومين . وقد استمرت عملية تهريب السلاح رغم انكسار شوكة المقاومة الشعبية[4] .

حاولت السلطات الفرنسية مراقبة القوافل بعد الحرب العالمية الثانية وشرعت في حفر أبار وبناء أبراج لمنع عملية تهريب السلاح واتخذ بعضها مراكز عسكرية خاصة المتاخمة لتونس مثل بير ربح و بير العضل ، بير الجديد وفي طريق غدامس مثل بير مسعودة وبير فطيمة وغيرها[5].

ثانيا- المقاومة الشعبية ودورها في جلب الأسلحة منذ القرن 19 م :

تمكن رجال المنطقة من جلب الأسلحة من أسواق قريبة وبعيدة في ليبيا وتونس وقد نشط المقاومون في عملية جلب الأسلحة والذخائر من هذه الأسواق ومنهم بوشوشة ، محمد بن عبد الله ، ابن ناصر بن شهرة ، محي الدين بن الأمير عبد القادر وكانت منطقة وادي سوف من أهم معابر قوافل السلاح الى المقاومين . وقد استمرت عملية تهريب السلاح رغم انكسار شوكة المقاومة الشعبية[4] .

حاولت السلطات الفرنسية مراقبة القوافل بعد الحرب العالمية الثانية وشرعت في حفر أبار وبناء أبراج لمنع عملية تهريب السلاح واتخذ بعضها مراكز عسكرية خاصة المتاخمة لتونس مثل بير ربح و بير العضل ، بير الجديد وفي طريق غدامس مثل بير مسعودة وبير فطيمة وغيرها[5].

المحور الثاني: عمليات تجميع السلاح والذخائر بوادي سوف:

أولا : المنظمة الخاصة وجلب الأسلحة عبروادي سوف :

ساهمت الصحراء الشرقية بفاعلية كبيرة في تمويل المنظمة السرية بالأسلحة والذخائر الحربية من وادي سوف وعبر بسكرة الى منطقة الاوراس فعندما أعلن مؤتمر فيفري 1947 عن أنشاء منظمة l'OS تمّ تكليف محمد بلوزداد بتأسيس وهيكلة هذا التنظيم العسكري وشرع بالفعل في تدريب المناضلين فطرحت أول مشكلة على المكتب السياسي للحزب في شهر مارس 1947 وهي

مشكلة التسليح فأتخذ القرار بالبحث عن الأسلحة وشراء كميات منها سواء من الداخل أو من الخارج.

لم تكن المعلومات عن مراكز السلاح الداخلية والخارجية خافية عن المسؤول الأول للتنظيم لأنه تعرف عن منطقة وادي سوف منذ كان رئيسا لتنظيم حزب الشعب في الشرق الجزائري (1945 – 1946)، إذ توطدت علاقته مع السعيد ادريس ذو أصل سوفي والذي يملك دكانا لبيع التبغ في قسنطينة بنهج محمد العربي بن مهيدي (نهج فرنسا سابقا) والذي ساعده في ربط علاقة مع التاجر المناضل أحمد ميلودي بالوادي، وقد رعى تلك الصلات فيما بعد محمد عصامي عضو اللجنة المركزية والقاطن في مدينة بسكرة ، فاتجه محمد بلوزداد رفقة أحمد ميلودي لزيارة وادي سوف في ذلك الوقت المبكر من سنة 1946 في مهمة لمراقبة التنظيم والبحث عن الأسلحة ويذكر السيد بن يوسف بن خدة أن محمد بلوزداد تمكن من جلب أول شحنة من الأسلحة.

وفي سنة 1947 دعا محمد بلوزداد مرة أخرى أحمد ميلودي الى الجزائر وهذا بغرض التفاهم في كيفية شراء الأسلحة للمنظمة السرية ، وكان الواسطة في تسليم الأموال لمسؤول التنظيم بوادي سوف هو السيد محمد عصامي وقد تطلب الأمر مجيء مسؤولي التنظيم في المنظمة الى وادي سوف ومنهم محمد العربي بن مهيدي ومحمد بوضياف ومصطفى بن بولعيد من أجل تنظيم وتنشيط ورعاية شبكة جلب الأسلحة والذخائر من الخارج عبر وادي سوف[6].

أستدعي أحمد ميلودي الى بسكرة وتسلّم من محمد عصامي على دفعتين مبلغ مالي قدر بمليوني فرنك فرنسي (و كان قد تسلمه هو بدوره من أحمد محساس وعلى دفعتين أيضا) ، والجدير بالذكر أن التكاليف كانت باهظة في ذلك الحين خاصة أن الميزانية المخصصة للمنظمة السرية هي 100 ألف فرنك ومنها مخصصات قادة المناطق (أي ستة آلاف للمتفرغ الواحد حتى ديسمبر 1948).

بعد هذا الإعداد والتنظيم بدأ أفراد المنظمة بوادي سوف في الرحلات المتعددة والمتكررة نحو ليبيا وتونس لجلب السلاح والذخائر ، حيث كلف أحمد ميلودي المناضل ميهي البشير بن عبد القادر المدعو محمد بلحاج (المولود بوادي سوف سنة 1919 من أسرة ميسورة الحال تنتمي إلى الطريقة القادرية وهو أحد مؤسسي الخلية الأولى لحزب الشعب و حضر مؤتمر بلكور في فيفري 1947) التوجه إلى ليبيا قصد الحصول على الأسلحة.

و كان المناضل ميهي محمد بلحاج ينظم ويقود القافلة الراحلة إلى ليبيا أو تونس فيستأجر دليلا للقافلة وأعوان لحراستها وتتكون القافلة من عدد من الجمال يتراوح العدد من 04 إلى 07 جمال والتي تحمل معدات شحن الأسلحة والمتمثلة في صناديق التمر والغرابر وهي أكياس كبيرة تصنع من الشعر والصوف وكانت حمولة الجمل الواحد حوالي 50 بندقية وكانت العملية تتم بسرية تامة .

ثانيا : أهم الرحلات نحو ليبيا وتونس لجلب السلاح :

ويمكن ذكر بعض الرحلات التي نجحت في جلب الأسلحة والمعدات إلى وادي سوف:

1- <u>الرحلات نحو الأراضي الليبية</u> :

قام ميهي بلحاج بعدة رحلات إلى ليبيا وكانت الرحلة الواحدة تستغرق حوالي شهرين ذهابا وإيابا ومنها:

السفر رفقة الخبير ودليل الطرق الصحراوية المدعو ضيف الله مصطفى القطاوي حيث وصلا إلى بلدة سناون التي تقع شرقي غدامس على بعد 200 كلم في جنوب ليبيا.

لقد نجحت المهمة ووصلت الشحنة الأولى سنة 1947 وتكفل أحمد ميلودي بإخفائها وخبئت في غوط وهو بستان نخيل في قرية الطريفاوي التي تقع على بعد حوالي 10 كلم شرق الوادي وكانت الحمولة تتألف من 103 بندقية من نوع ستاتي صنع ايطالي و04 صناديق من الذخيرة .

ومع بداية سنة 1948 تم عقد اجتماع مصغر بغوط اولاد فليون شرق الرباح ضم شخصيات هامة في شبكة تجميع ونقل الأسلحة تحت إشراف أحمد ميلودي ومن أهم قراراته تكليف ميهي محمد بلحاج بجلب الأسلحة وعسيلة بلقاسم بالتنظيم ، وادة علي بجمع التبرعات والاشتراكات ، بن موسى بشير وقدرية الطيب بجمع الأخبار ومراقبة تحركات العدو وأعوانه.

وقام بالسفر إلى ليبيا مرة ثانية سنة 1848 رفقة الخبير ودليل طرق الصحراء محمد بن الصادق ونجحت المهمة وتكونت الشحنة من عدد كبير من البنادق مع ذخيرة معتبرة وعدد من النظارات الكاشفة للأبعاد وقد كلفت البندقية الواحدة حوالي 800 فرنك فرنسي ، وفي سنة 1949 سافر ميهي بلحاج مع خبير آخر يسمى بوغزالة البشير بن نصر وتم جلب كمية من الأسلحة والذخائر.

2- الرحلات نحو تونس: حيث أنجز ميهي بلحاج رحلات عدة نذكر منها:

تمت الرحلات رفقة زواري الصادق بن البشير والحاج محمد بالأطرش وقصدوا منطقة دوز بالمرازيق وجبل بن إخداج وبعد إتمام المهمة قصدوا شقيقة التافزة حيث كان وادة علي بن الضيف في انتظارهم وتم إخفاء الأسلحة والذخائر.

الرحلة التي تمت سنة 1951 وكان ميهي بالحاج برفقة غندير بشير بن محمد العيد واستطاع جلب بعض الأسلحة وقد تخلف ليستكمل جمع الذخيرة فألقي عليه القبض داخل الحدود الشمالية الشرقية بالتراب التونسي ومعه ذخيرة وأسلحة فسجن مدة ستة أشهر في 24 أفريل 1951.

3- <u>الرحلات المزدوجة نحو تونس وليبيا :</u> وقام بها محمد بلحاج مابين 1948 و 1953 وكان برفقة دليل الصحراء زواري احمد الصادق وجلبوا خلالها كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر خبئت الأولى في غوط في نزلة الطلايبة في الوادي والثانية في غوط عدايكة شرق تكسبت في الوادي[8].

وكانت الأسلحة المجلوبة متنوعة من حيث كمياتها واعدادها وأنواعها ومصادرها الأصلية ويمكن حصرها:

- من ليبيا في سنة 1947 كمية أولى شملت بنادق ستأتي وعددها 103 بندقية مع ذخائر، كمية أخرى وحوت 4 قطع رشاش مع 4 صناديق ذخائر . وفي نهاية 1948 كانت الشحنة عبارة عن 100 قطعة سلاح مع الذخيرة وقد ذكر حسين آيت احمد كيفية إدخال الأسلحة إلى الجزائر من الخارج عن طريق وادي سوف خلال فترة ترأسه المنظمة الخاصة فيما يتعلق بالأسلحة فقد استطعنا الحصول على عدد منها في نهاية 1948 ففي اجتماع هيئة الأركان أعلمنا بوضياف بوجود سوق مزدهرة لبنادق الحرب في غدامس المدينة التجارية الليبية القريبة من الحدود الجزائرية والحد الجنوبي لتونس .

وقد تحصل محمد بوضياف على هذه المعلومات من سي العربي مسؤول المنظمة الخاصة بالوادي وأخبره بأن مجموعته تقترح توجيه قافلة نحو غدامس تحت إشراف مرشدين مهرة بإمكانهم تجنب القوات العسكرية الفرنسية عبر مجاهل الصحراء و دروبها الوعرة ... فاتجهت رفقة بوضياف إلى بسكرة لحضور اجتماع المجلس الجهوي (الأوراس ، بسكرة ، وادي سوف) ودرسنا على الهامش مع مسؤول الوادي عملية جلب الأسلحة من جميع أوجهها وسميت "عملية ليبيا" ... ونجحت العملية بكاملها إذ تمكنا من جلب مائة بندقية ستأتي على ظهور الجمال مع كمية هامة من الذخيرة ووجهت الأسلحة إلى الأوراس..."

جلبت من منطقة وادي سوف في سنة 1949 كمية من الأسلحة تمثلت في 60 بندقية مع الذخيرة وبعد 1949 كانت الكمية 33 بندقية من نوع ستاتي مع الذخيرة. وقد نقلت هذه الأسلحة والذخائر إلى منطقة الأوراس وحسب شهادة محمد بوضياف فان الدفعة الأولى قدرت بـ300 قطعة سلاح وتمثل نصف الكمية الإجمالية التي وصلت الأوراس في تلك الفترة لان منطقة الأوراس تلقت أيضا الأسلحة من تونس وجهات أخرى[9].

والجدير بالذكر أن كميات أخرى جمعت في عام 1947 نقل جزء منها إلى الجنوب الغربي في منطقة غرداية ومتليلي وتم إخفاء الجزء الآخر في مناطق متعددة بواد سوف واستعملت في الكفاح أثناء الثورة نذكر منها حسب أسماء الدليل ورفيقه وحجم الكمية ومنطقة تحويلها أو إخفائها : تمكن أحمد بن غريسي و رفيقه العربي عيشوش من جلب 232 بندقية مع ذخيرة معتبرة وحولت الى منطقة غرداية ومتليلي وتمكن احمد التيجاني ورفيقه من جمع 12 قطعة سلاح مع الذخيرة وخبئت بالبياضة جنوب الوادي تمكن زيتونة البشير المسمى بالشهواني من جلب كمية معتبرة و تم إخفاؤها بمنطقة وادي سوف وتمكن أيضا سعد بن محمد الكبير عيشوش من جمع 12 قطعة سلاح مع الذخيرة وأخفيت بالمنطقة واستخدمت أثناء الثورة.

و لابد من الإشارة إلى أن السلطة الاستعمارية استطاعت اكتشاف بعض هذه الأسلحة وقد صودرت كما جاء في وثيقة فرنسية مؤرخة في شهر اكتوبر 1947 بتاريخ

2 اكتوبر صودرت في الرقيبة التابعة للوادي "توقرت" خمس بنادق ايطالية ستاتي و10000 طلقة (خرطوشة) وكانت الأسلحة مختلفة من حيث صنعها وفعاليتها فنجد البنادق والرشاشات والمسددات الخماسي الألماني، الستاتي الايطالي الصنع ، الرشاش الايطالي ،الانجليزي الصنع ، المسدس الأوتوماتيكي الأمريكي الصنع إضافة إلى الذخائر ذات الأحجام المختلفة وكذلك النظارات الكاشفة .

وكانت مادة الديناميت التي تصنع منها القنابل متوفرة بوادي سوف وتستخدم لأغراض زراعية في المناطق التي تكثر فيها الحجارة الصلصالية المتواجدة فوق سطح الماء وتعيق نمو النخيل فكلف الحاكم العسكري بالوادي المجاهد الفلاح ويسمى الأمين بتوزيع مادة التفجير وتم ضبطها بسجل خاص مع تحديد حصة كل فلاح ولكن المدعو الأمين ونيسي تمكن من التحايل على تلك القوانين وحوّل حوالي نصفها إلى المكلفين بنقل السلاح نحو الشمال وتم هذا الأمر تحت إشراف المجاهد عبد القادر العمودي.

وقبل نقل السلاح من وادي سوف تجاه الشمال كانت الأسلحة تجمع عند بعض الأفراد منهم :جاب الله البشير القاطن بالرقيبة ، محمد شوشان وبالقاسم عدوكة في الوادي وكانت تخبأ في المنازل و الغيطان وتمكث مدة 4 أو 5 أشهر تنقل عبر وسائل مختلفة إلى الزيبان فالأوراس وعلينا أن نتذكر أن عملية التجميع والإخفاء تحفها خطورة وضرر قد يلحق بأشخاص الشبكة في حالة اكتشافها وفضح أمرها خاصة مع وجود عيون وجواسيس الإدارة في مدن وقرى أخرى في وادي سوف.

ثالثا : عمليات نقل السلاح من وادي سوف تجاه الشمال : لقد تم نقل الأسلحة والذخائر في ظل تلك الظروف الصعبة لكن المجموعة المناضلة تحرّت الحذر وأعدّت الأسباب ووظفت الرجال المخلصين واختارت الظروف والأوقات المناسبة .

نقل السلاح بواسطة الجمال: كانت القافلة تصل وادي سوف محملة بالشعير من منطقة الزرايب في الزيبان وبعد بيعه في سوق الوادي تشحن بالأسلحة والذخيرة الحربية وكانت العملية تتم تحت إشراف عبد القادر العمودي ومساعدة المناضلين ومنهم ميهي بالحاج وبشير بن موسى وبلقاسم عدوكة واستمرت هذه العمليات إلى غاية سنة 1950[10].

وقد وصف عبد القادر العمودي الذي قاد القافلة الأولى إلى زريبة حامد بالزيبان بقوله: "... قبل خروجنا قمنا بالتعرف على الطريق الأفضل وفي يوم الرحيل قضيناه في الغوط وكنت برفقة ميهي بالحاج وبلقاسم عدوكة ويقع في شرق الوادي فحفرنا عن السلاح ووضعناه في الغرايز وحمل كل واحد سلاحه الفردي لحراسة القافلة أثناء الطريق ، واتفقنا أن تنطلق القافلة بالليل حيث يقدم الرجلان اللذان أرسل من طرف محمد عصامي بالإبل وكانت 07 جمال إلى غوط عدوكة لحمل الغرايز دون أن يعلموا ما بداخلها وكان خروجنا بعد العشاء وحرصنا أن نبتعد خلال سيرنا عن العمران ، وعزمنا على المسير دون توقف حتى نخرج من المناطق المسكونة ، وسلكنا الطريق الشرقية المعروفة والتي تبدأ من قرية البهيمة (بلدية حساني عبد الكريم حاليا) و سيدي عون واستمر سيرنا طول الليل وحتى وقت الظهر من اليوم الموالي توقفنا مدة ثلاث ساعات لنستريح ونتناول الطعام بعدها واصلنا السير وكان قدومنا إلى زريبة حامد ليلا في اليوم الثالث فتمّ تخزين الأسلحة في إحدى البيوت واتفقنا على مغادرة القرية قبل طلوع الفجر إلى مدينة بسكرة لإتمام الأمر مع محمد عصامي ، وبقيت تلك الأسلحة في زريبة حامد مدة شهر ثم نقلت بواسطة البغال إلى الأوراس من طرف مصطفى بن بولعيد ومحمد مدور وشخص آخر ، وخزنت في منطقة آريس تحت رعاية مصطفى بن بولعيد إلى زمن اندلاع الثورة.."[11]

ويذكر محمد عصامي بعض تفاصيل العملية السابقة بقوله: " وأمرنا بلوزداد محمد بان تبعث بهذه الكمية الى الأوراس ، فاستدعيت المحب للحركة الوطنية حمودي محمد الصغير وهو حاليا إمام في قرية زراعية بطوماس ... وجاء إلى بسكرة وأعطيته الثمن لشراء الشعير وكراء البعير لكي يذهب إلى وادي سوف للإتيان بالسلاح وسبق أن تفاهمت مع ميلودي احمد وعبد القادر وبشير بن موسى وميهي محمد بلحاج على أن ينتظروه بواد سوف".

وكان ما قصدناه فوجدهم حاضرين جميعا وعلى أتم الاستعداد فباعوا الشعير وملئوا الأكياس بالسلاح

والخرطوش وحملوه على الجمال وجاءوا جميعا مع القافلة ، و بلغ عدد القطع الحربية 103 قطعة .. وبعد ذلك وصلوا في ماي 1948 م الموافق لـ 1368 هـ إلى طوماس ، ووضعوه في مطامير الشعير وأهالوا عليه التراب وبقي في السر إلى ان جاء مصطفى بن بولعيد من الأوراس ، وأنبه بأن بلوزداد محمد أمرني بان أسلم إلى مصطفى بن بولعيد 5.00 فرنك لشراء البغال على أن يحمل عليها السلاح من طوماس إلى جبال الأوراس وقسم ورقة من نوع عشرين فرنكا إلى قسمين نصف منها أسلمه إلى ابن بولعيد ونصف آخر أسلمه إلى من أخفينا عنده السلاح بطوماس وهو الأخ حمودي محمد الصغير بلعيد".

نقل السلاح على متن الحافلات والشاحنات:

عندما بدأت السلطات الفرنسية تشدد رقابتها على القوافل غيّرت المجموعة المناضلة وسيلة نقل الاسلحة خلال الفترة التي امتدت من1950 إلى 1954 وذلك من وادي سوف إلى بسكرة فكانت الأسلحة خاصة صغيرة الحجم مثل المسدسات والذخيرة توضع في صناديق التمر والشاي وتلف البنادق في أغطية وتغلف بحصائر وبعد أخذ تذكرة السفر من المدعو النوبلي العروسي الذي كان يعمل بشركة المسافرين والذي سهّل عملية نقل الأسلحة التي تستقبل في بسكرة في الغابة او في محطة المسافرين .

وشركة النقل تدعى دقليون DOGLIONE وصاحبها إيطالي ، في الوقت الذي كان المناضلين يتجنبون شركة إحلاسة للنقل لان صاحبها جزائري وتكون مراقبة أكثر من طرف السلطات والدوريات كما أرسلت بعض قطع السلاح في شاحنات تابعة لشركة دقليون وكان الذين يستقبلون كميات الأسلحة في بسكرة هما محمد عصامي وأحمد الزقوني(حسب رواية محمد عصامي أحمد زرقوني) وهو مناضل مارس التجارة ويملك مخازن وعندما تتجمع كمية معتبرة من الأسلحة والذخيرة تنقل إلى الأوراس ومدن الشرق الجزائري.

هذا السلاح يحوّل إلى قسنطينة على متن شاحنة عبد الحفيظ بلبكري للنقل العمومي تحت رعاية عمار بوجريدة قائد ولاية قسنطينة ويستقبلها عبد الرحمان عراس ومحمد مشاطني وعبد السلام حباشي والثلاثة من المنظمة السرية L'OS ثم يتم توزيع الأسلحة من طرف عمار بوجريدة ما بين عنابة وسكيكدة والسمندو ، وسطيف وقسنطينة أي مدن شمال الشرق الجزائري. وكان يستخدم في تدريب أعضاء المنظمة الخاصة وبعد ذلك في هجومات أول نوفمبر 1954.

كما تمّ نقل وسائل المتفجرات من طرف عبد القادر العمودي في فترات متقطعة في الحافلة وكان ينقلها بنفسه إلى مصطفى بن بولعيد بأريس حيث تم تدريب بعض المناضلين على صنع المتفجرات وبعضها تفجر وكانت مخبئة في محل تجاري بباتنة فسجن صاحب المحل ومعه مدور محمد وتكثّف البحث عن مصطفى بن بولعيد الذي كان في الجزائر في ذلك الحين[12].

من المؤكد أن أحمد بن بلة قام بدور كبير في الإعداد المادي للثورة حينما كلف بتموين وتسليح الثورة من الخارج فأتصل بالجامعة العربية وقيادات سياسية وعسكرية مصرية مثل فتحي الديب ، عزت سليمان بهدف الحصول على الأسلحة والمساعدة المالية. وكان دور الوفد الخارجي (بن بلة، محمد خيضر..) زيارة البلدان الصديقة لتوفير السلاح وقد أبلغ قادة الثورة الآخرين في اجتماع برن في سويسرا وأكتوبر 1954 باستعداد مصر على دعم الكفاح الجزائري.

وفي طرابلس تنظمت شبكة تجميع ونقل الأسلحة وكان من ابرز أشخاصها عبد العزيز شوشان(تونسي) كمال صقر (تبسة) وآخرون وقد سافر بن بلة إلى هناك لمعاينة الوضع ، وتمكن مصطفى بن بولعيد من القدوم إلى طرابلس بهدف تنظيم عملية تجميع وتهريب الأسلحة. ويمكن القول أن نواة التسليح من ليبيا أشرف عليها قادة الثورة بن بلة وبن بولعيد والمناضل بشير القاضي وتعود الجذور التاريخية لتأسيس هذه الشبكة إلى سنة 1947 بعد إنشاء المنظمة الخاصة L'OS وحاجتها للأسلحة والذخيرة .

وقد كلف مصطفى بن بولعيد بشير القاضي بعملية تجميع ونقل الأسلحة عبر الجنوب يسلك طريق غدامس وادي سوف كانت لهذه الأخيرة علاقات وثيقة مع ميهي بلحاج تعاونا على تنظيم عملية تهريب الأسلحة من ليبيا تجاه الجزائر حيث قاما بتنقلات عديدة بين طرابلس وغدامس ونالوت بمساعدة الشيخ عيساوي الذي كان عونا وصديق لمحمد بلحاج.

قامت شبكة التسليح بالتنسيق مع رجال المقاومة التونيسية في ليبيا حيث كانت توجد مزرعتان زنزور، غشير قريبتان من طرابلس فتجمع الأسلحة والذخيرة هناك وتنقل إلى المركز الرئيسي العسة 14 كلم على الحدود و منها تهرب للجزائر ومركز آخر في تريجي على طريق نالوت غدامس فالصحراء الجزائرية وادي سوف وطرق أخرى استعملها المجاهدون لنقل الأسلحة.

كان الاتصال برجال المقاومة يتم عبر المجاهد محمد شلوف من الجزائر فيلتقي بعبد العزيز شوشان في مدنين فالأراضي الليبية وينقل السلاح إلى قادة العسة وتدخل الجزائر عبر عدة مناطق ومسالك منها الصحراء حيث تنتقل بواسطة الجمال وتعبر مناطق وادي سوف.

وكان طريق القوافل عبر الجنوب مؤمنا من طرف رجال المقاومة التونسية ووجدت دعما واضحا من أنصار الحركة اليوسفية (صالح بن يوسف) ما تجدر الإشارة إليه أن التعاون الجزائري التونسي في مجال التسليح من ليبيا توقف بعد تسليم التونسيين لأسلحتهم في 10 ديسمبر 1954 . لكن رفض صالح بن يوسف الأمين العام للحزب الدستوري الجديد لفكرة تسليم السلاح والتفاوض مع فرنسا جعل رجال المقاومة اليوسفية يستمرون في تقديم العون والسلاح للثورة الجزائرية[13].

ويمكن التنويه باستمرار مساهمة طريق وادي سوف ورجالاتها على تجميع ونقل الأسلحة والذخيرة خلال هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ الثورة بعد إندلاعها رغم أن السلطات الاستعمارية أنشأت الأبراج للمراقبة وبثت العيون على طول الطرق الصحراوية الرابطة بين ليبيا وتونس والجزائر وعيّن مصطفى بن بولعيد قائد الولاية الأولى المجاهد الجيلاني بن عمر من العقلة جنوب الوادي على رأس مجموعة من المجاهدين من أبناء سوف وتكفلت بنقل كميات من الأسلحة والذخيرة وأوصلتها إلى منطقة الزرايب بتخوم الأوراس .

وفي 21 أكتوبر 1955 أستشهد القائد الجيلاني بن عمر في معركة زرايف الواعر الشهيرة تولى بعده قمودي الطالب العربي بعد تعيينه من طرف مصطفى بن بولعيد في 12 فيفري 1956 و ذلك قبل إستشهاد الأخير في 22 مارس 1956 وكان الطالب العربي قد شغل نائب لجيلاني بن عمر فكان على دراية تامة بالوضع ومعاير تهريب السلاح وقد تمكن من نقل كميات من السلاح من نالوت الليبية إلى مدنين ، قفصة ، المتلوي ، أم العرائس ، الرديف فالأراضي الجزائرية وأخيرا الأوراس[14].

خاتمة: من خلال ما ذكرناه نستنتج أن جميع مناطق الجزائر في التل والصحراء ساهمت بقسط وافر في الثورة الجزائرية وأن وادي سوف لاعتبارات تاريخية وجغرافية واستراتيجية كانت منطقة عبور هامة للسلاح والرجال الذين دفعوا الثورة إلى الأمام ووفروا لها الإمكانيات التي ساهمت في نجاحها.

وعلى المؤرخين استنطاق المصادر المكتوبة والذاكرة في المنطقة لإثبات الحقائق التاريخية و إبراز دور هذه المنطقة في دعم الثورة بكل الطاقات والوسائل .

. قائمة المراجع:

- بوبكر حفظ الله: التموين والتسليح إبان ثورة التحرير الجزائرية (1954-1962) طاكسيج كوم ، الجزائر، 2011 .
- محمد العربي الزبيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984.
- محمد صديقي: الطرق والوسائل السرية لإمداد الثوار الجزائريين بالسلاح ، ترجمة احمد الخطيب ، دار الشهاب باتنة ، 1986 .
- مسعود كواتي: تاريخ الجزائر المعاصرة وقائع ورؤى ، دار هومة ، الجزائر، 2011.
- سعيدة وهيبة : الثورة الجزائرية ومشكلة السلاح (1954-1962) ، دار المعرفة الجزائر، 1994 .
- محمد هشماوي: جذور نوفمبر 1954 في الجزائر ، مجلة أول نوفمبر ، الجزائر.
- علي غنابزية: " الدور الاستراتيجي لوادي سوف في تجميع السلاح للثورة التحريرية " ، مجلة البحوث والدراسات ، العدد التاسع، جانفي 2010.
- طليبة بوراس: المساهمة الليبية في الإعداد للثورة الجزائرية تسريب السلاح عبر وادي سوف نموذجا(1947- 1954) ، مذكرة ماجستير جامعة الزاوية ليبيا ، 2013.
- طليبة بوراس: شهادة مسجلة ادلى بها المجاهد وادة علي بن الضيف بالوادي في يوم 15 مارس 2011.
- يحي بوعزيز: " تهريب الأسلحة عبر الحدود للمقاومة الجزائرية لمحاربة جيش الاحتلال" محاضرة مخطوطة ، الوادي ، 19-20 مارس 1999 .

الهوامش :

1- سعيدة وهيبة : الثورة الجزائرية ومشكلة السلاح (1954-1962) ، دار المعرفة الجزائر، 1994 ، ص ص 16-17.
2- محمد هشماوي: جذور نوفمبر 1954 في الجزائر ، مجلة أول نوفمبر ، الجزائر، ص 60 .
3- محمد العربي الزبيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984، ص 32 .
4- يحي بوعزيز: " تهريب الأسلحة عبر الحدود للمقاومة الجزائرية لمحاربة جيش الاحتلال" محاضرة مخطوطة ، الوادي ، 19-20 مارس 1999 .
5- علي غنابزية: " الدور الاستراتيجي لوادي سوف في تجميع السلاح للثورة التحريرية " ، مجلة البحوث والدراسات ، العدد التاسع، جانفي 2010، ص 46 .
6- مسعود كواتي: تاريخ الجزائر المعاصرة وقائع ورؤى ، دار هومة ، الجزائر،2011، ص ص 176-177 .
7- علي عنايزية: المرجع السابق ، ص 47 .
8- طليبة بوراس: المساهمة الليبية في الإعداد للثورة الجزائرية تسريب السلاح عبر وادي سوف نموذجا(1947- 1954) ، مذكرة ماجستير جامعة الزاوية ليبيا ، 2013، ص ص 112 -
9- علي غنايزية: المرجع السابق ، ص 49.
10- طليبة بوراس: شهادة مسجلة ادلى بها المجاهد وادة علي بن الضيف بالوادي في يوم 15 مارس 2011.
11- محمد صديقي: الطرق والوسائل السرية لإمداد الثوار الجزائريين بالسلاح ، ترجمة احمد الخطيب ، دار الشهاب باتنة ، 1986 ، ص 23.
12- مسعود كواتي: المرجع السابق ، ص ص 181-183.
13- بوبكر حفظ الله: التموين والتسليح إبان ثورة التحرير الجزائرية (1954-1962) طاكسيج كوم ، الجزائر،2011 ، ص ص 214-240 .
14- طليبة بوراس: المساهمة الليبية في الإعداد للثورة الجزائرية تسريب السلاح عبر وادي سوف نموذجا (1947- 1954) المرجع السابق. ص ص 117 - 131 .